أسرار تعدية الفعل بحرف جر في بعض الآيات من سورة البقرة: دراسة نحوية بلاغية

Tajuddin
UIN Sunan Ampel Surabaya
diin.tajuddiin@gmail.com

Abstrak: Al-Qur'an selain menjadi pedoman dan petunjuk bagi manusia juga menjadi referensi beberapa disiplin ilmu pengetahuan, seperti ilmu nahwu, balaghah, fikih, tauhid dan lain-lain. Surah yang terpanjang di dalam al-Qur'an adalah surah al-Baqarah. Jika dilihat dari sisi kebahasaan, khususnya nahwu dan balaghah, maka di dalam surah al-Baqarah tersebut terdapat *fi'il muta'addi* yang menggunakan huruf *jarr* yang bermacam-macam (misalnya: ب، إلى، على، عن). Hal itu berimplikasi pada perubahan makna *fi'il* tersebut. Ragam makna akibat penggunaan huruf *jarr* untuk *ta'diyat al-af'al* di dalam beberapa ayat dari surat al-Baqarah dengan segala macam rahasianya akan dikupas di dalam artikel ini berdasarkan teori kajian nahwu dan balaghah.

Kata kunci: *Fi'il muta'addi,* huruf *jarr,* surah al-Baqarah

مقدمة

إن القرآن كلام منزل من عند الله تعالى. وهو أحسن كلام، وأجمل تركيب، وأبدع أسلوب من ناحية اللغة. وبالتأكيد أن هذا القرآن أكمل المصادر لميادين العلوم، ولا يخلو منه علم النحو، وعلم البلاغة أو غيرهما من علوم اللغة. فما زالت بلاغة القرآن ميدانا فسيحا للبحث والدراسة التي تنتظر جهود الباحثين لإبراز ما تحتويه أساليب القرآن من روائع البلاغة وأسرار الإعجاز.

إن إبراز مقاصد التعبير القرآني والوقوف على أسرار الإعجاز في القرآن يتوقف على أمور كثيرة منها إدراك دلالات حروف الجر وما تشيعه على سياقاتها من الدلالات التي تحتاج من الباحث للوقوف عليها إلى إطالة تأمل حتى يستطيع النفاذ إلى ما نشأت به حروف الجر من أسرارها المتنوعة التي تخلعها على الأفعال الداخلة عليها.

إن لتعدية الفعل بحروف الجر في القرآن الكريم أهمية عظمى وأثرا كبيرا في إبراز مقاصد التعبير القرآني. ولا يتم ذلك إلا بمعرفة الفعل وحرف من حروف الجر الذى يتعدي به، مع أن لكل فعل ما يناسبه فى تلك الحروف حسب معاجم اللغة. وبعد ذلك يستطيع الباحث أن يعرف

الفعل المتعدى بحرف الجر، إما أن يكون الفعل أصلا لا يحتاج إلى حرف جر، أو يتعدى الفعل بغير الحرف الذى عدى به.

وهذا البحث الذي بين يديك يعد من بحوث الدلالة والبلاغة القرآنية. ويعد هذا البحث من بلاغة القرآن حيث أنه استعمل لفظا ليس فى أصله أن يستعمل به فيؤدي إلى إبراز معنى مجازيا. وهدف الباحث من خلاله إبراز بلاغة القرآن الكريم في تنوع تعديته للفعل الواحد بحروف الجر المختلفة فى هذه السورة الكريمة.

أنواع تعدية الفعل

ينقسم الفعل من حيث تعديته إلى المفاعل بعده إلي:

١. تعدية الفعل بنفسه

والمراد بالمتعدي بنفسه هو الفعل الذى يتعدى الفاعل إلى المفاعيل بنفسه لا المتعدي بحرف الجر أو اللازم.

وقد أراد النحاة تيسير التمييز بين الفعل المتعدى بنفسه والفعل اللازم (المتعدي بحرف الجر). وفى رأيهم أن طريقة التمييز بينهما أن يوضع الفعل فى جملة تامة وقبله اسم جامد أو مشتق بشرط أن يكون هذا الاسم غير مصدر وغير ظرف، وبعد الفعل ضمير يعود على ذلك الاسم المتقدم، وإن صح التركيب واستقام المعنى فالفعل متعد بنفسه، وإلا فهو لازم، فإذا أردنا أن نبين حقيقة الفعل: "أخذ" من ناحية التعدي واللزوم وضعنا قبله اسمًا غير مصدر وغير ظرف، وجعلنا بعد الفعل ضميرًا يعود على ذلك الاسم؛ فنقول: الصحف أخذتها، فنرى المعنى سليمًا، والتركيب صحيحًا "لموافقته الأصول والضوابط اللغوية"؛ فنحكم بأن هذا الفعل متعد؛ ينصب المفعول به بنفسه، إلا إن صار المفعول به نائب فاعل فيرفع[١].

والمتعدي بِنَفسِهِ على ثَلَاثَة أضْرب مُتَعَدٍّ إِلَى مفعول وَاحِد ومتعد إِلَى مفعولينِ ومتعد إِلَى ثَلَاثَة مفاعيل. والْمُتَعَدِّي إِلَى مفعول وَاحِد هو كل فعل يطلب مفعولاً واحداً فينصبه بنفسه بدون واسطة نَحْو قَوْلك ضربت زيدا، وَكلمت عمرا، فكلمة زيد وعمر يكون مفعول به.

[١] عباس حسن، *النحو الوافي*، (القاهرة: دار المعارف، جهل السنة)، ط.١٥، ج.٢، ص.١٥٢.

والمتعدى لمفعولين على قسمين: قسم ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا، وقسم ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر. فالأول مثل (أعطى وسأل ومنح ومنع وكسا وألبس وعلّم)، تقول "أعطيتك كتابا"، منحت المجتهد جائزة. والثانى على قسمين أفعال القلوب، وأفعال التحويل.

أفعال القلوب المتعدية إلى مفعولين هي (رأي وعلم ودرى ووجد وألفى وتعلم وظنّ وخال وحسب وجعل وحجا وعدّ وزعم وهبّ). ولا يجوز فى هذه الأفعال أن يحذف مفعولاها أو أحدهما اقتصارا بلا دليل ويجوز سقوطهما، أو سقوط أحدهما اختصارا لدليل يدل على المحذوف. فتقول مثلا "ظننت" بعد أن يقال لك "هل ظننتَ خالدا مسافرا؟ فسوقتهما معا لدليل. وقال تعالى (أينَ شُرَكَاءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُم تَزْعُمُونَ)،[٢] أي كنتم تزعمون شركائي.

وتأتى بعدها أفعال التحويل وهي ما تكون بمعنى (صيّر). وهي سبعة (صير، ورد، وترك، واتخذ، وتَخِذَ، وجعل، ووهب). وتنصب أفعال التحويل مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، مثلا صيرت العدوَ صديقا.

وأما المتعدى لثلاثة مفاعيل فهو (أرى وأعلم وأنبأ ونبأ وأخبر وخبّر وحدّث). نحو قولك: أريت سعيدا الأمرَ واضحاً. وقولك: قَوْلك: أعلم الله زيدا عمرا خيرَ النَّاس، فَلَمَّا، أعلمهُ ذَلِك غَيره صَار مَفْعُولا بالإعلام، وَمَا بعده على حَاله، فاعتبره بِأَن تَقول: علم زيد أَن عمرا خير النَّاس، وَأعلم الله زيدا أَن عمرا خير النَّاس.

تأمل البحث فى المفاعيل التى جائت بعد المتعدى السابقة إما المتعدي إلى مفعول واحد، أو إلى مفعولين، أو إلى ثلاثة مفاعيل، رأيت أن كلها صريح، أي تكون مفاعيلها منصوبة بالفتحة. ولكن قد يأخذ المتعدى مفعولا غير صريح، أو من المتعدي إلى مفعولين قد يكون أحدهما صريح والأخر غير صريح. ويحدث ذلك إن كان المفاعيل من تركيب الجر والمجرور، كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا).[٣] فالأمانات مفعول به صريح، وأهل مفعول به غير صريح وهو مجرور لفظا بحرف الجر، منصوب محلا، على أنه مفعول به غير صريح.

٢. بواسطة حرف الجر

[٢] القصص: ٦٢.

[٣] النساء: ٥٨.

وقد ذكر الباحث أن المتعدى قد يكون بنفسه وقد يكون بواسطة. والوسائط التى يستخدمها الفعل لاتصال بها إلى المفاعل كثيرة، منها بواسطة الهمزة، ومنها بواسطة التضعيف، ومنها بواسطة حرف الجر. ومما يستحق الباحث ذكر النوع الأخير وهو المتعدي بحرف الجر.

المتعدى بحرف الجر هو الفعل الذى يتعدى به أو يتصل إلى مفعول به بواسطة حرف الجر. وأصل المتعدى بحرف الجر هو يكون من اللازم أو من المتعدي بنفسه. قال إبن يعيش فى كتابه "شرح المفصل للزمخشرى"، أن عبرة الفعل المتعدى بحرف الجر عبرة ما يتعدى بنفسه إذا كان فى معناه.[٤] ألا ترى أن قولك: "مررت بزيد" معناه كمعنى "جُزْت زيدًا"، و"انصرفتُ عن خالدٍ" كقولك: "جاوزتُ خالدًا" فكما أنّ ما بعد الأفعال المتعدّية بأنفسها منصوبٌ، فكذلك ما كان في معناها ممّا يتعدّى بحرف الجرّ؛ لأن الاقتضاء واحدٌ، إلَّا أن هذه الأفعال ضعُفت في الاستعمال، فافتقرت إلى مُقَوٍّ، وهو حرف الجر.

أسرارتعدية الفعل بحرف جرفي بعض الآيات من سورة البقرة

سيعرضكم الباحث عن أسرار تعدية الفعل بحرف جر من خلال سورة البقرة فيما يلي:

١. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ. (٣)

قد وردت كلمة "آمن" فى القرآن بصيغتين، وقد يتعدى باللام فى موضع كقوله تعالى (فَما آمن لِمُوسى..الخ)،[٥] وقوله (فَآمن لَهُ لُوطٌ..الخ)،[٦] وقد يتعدى بالباء كما فى هذه الآية.

كلمة الإيمان فى اللغة مصدر آمن قد تتعدى باللام والباء. فالمعداة باللام معناها التصديق أو التسليم أو الإذعان، فيقال (آمن له) بمعنى صدقه فيما يقول وترد أيضا معداة باللام بمعنى التسليم فيقال (آمن له) بمعنى سلمه أو حفظ غيبته فلم يتكلم فى عرضه ولم يلمه فى غيبته، كقوله تعالى فى سورة التوبة: ٦١ (..يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ..) أي يصدِّق الله فيما يقول، ويصدِّق المؤمنين فيما يخبرونه به لعلمه بإخلاصهم.

[٤] ابن يعيش، *شرح المفصل للزمخشرى*، ط.١، ج.٤، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ص.٤٥٧

[٥] يونس: ٨٣.

[٦] العنكبوت: ٢٦.

وأما كلمة (آمن) المعداة بالباء فإنها تقتضى زيادة على التصديق وهو التصديق اللازم الذي لا يقبل الشك، والذى يقتضى عملا، ولهذا لا يحل أن يتعدى (آمن) بالباء إلا على ما هو ركن من أركان الإيمان. تقول آمن فلان بالله، أو آمن بالرسول، أو آمن بالكتاب، أو آمن بالملائكة، أو آمن بالملائكة، أو آمن بالقدر، لكن لا يحل أن تقول آمن بفلان من الناس، بمعنى صدقه.

٢. وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ. (٤)

اقترن الفعل "أنزل " بـ إلى فى موضع واقترن ب على فى موضع آخر. أحياناً حروف الجرّ يستعمل بعضها مكان بعض لكن يلفت النظر لِمَ استعملت هذا هنا وهذا هنا؟ لماذا يقول الله تعالى فى هذه الآية "أنزل إليك" ويقول فى أية أخرى "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ"[٧]؟

انظر إلى الآيتين تجد بظاهرتهما يتحدثان عن الوحي (القرآن)، ولكن إذا تأملت تجد أن لهما فرق. والوحي لما يأتي من أين يأتي؟ من الله الذي هو أعلى فلما يأتي من الله تقول أُنزِل علي محمد صلى الله عليه وسلم. فالمراد من قوله تعالى (هوالذي أنزل عليك الكتاب) إذا أن تؤمن بأن الله هو الذى أنزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، أي أن الإيمان بالله بتصديق الربوبية أن هذا الكلام كلام الله لما تقول أُنزِل عليك فتؤمن بأن هذا الكلام أنزل علي محمد من الله فأنت إذاً تصديق الربوبية. وأما قوله تعالى (أنزل إليك) هذا الذي نزل، نزل لمن؟ نزل لمحمد إذاً صار هناك تصديق النبوة والرسالة. فالآيتان إحداهما تتحدث عن تصديق الربوبية والثانية تتحدث عن تصديق الرسالة والرسول والنبوة.

٣. خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ. (٧)

قوله تعالى "ختم الله على قلوبهم". الختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة فى خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم. وَلَيْسَ الْخَتْمُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ هُنَا حَقِيقَةً بَلْ ذَلِكَ جَارٍ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ بِأَنْ جَعَلَ قُلُوبَهُمْ أَيْ عُقُولَهُمْ فِي عَدَمِ نُفُوذِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ وَالْإِرْشَادِ إِلَيْهَا.[٨] وإذا تأملت الختم وجدت المقصود منه أن الشيء الداخل يظل داخلا لا يخرج وأن الخارج يظل خارجا لا يدخل.

---

[٧] آل عمران: ٧.

[٨] ابن عاشور التونسي، *التحرير والتنوير*، ص.٢٥٤

فى هذه الآية لم يقل الله "ختم الله قلوبهم" مع أن الفعل ختم يتعدى بنفسه، والله يقول "ختم الله على قلوبهم"، فما المراد بذلك؟ هذه الآية تدل أن الله تعالى لا يظلم عبده فالله ليس بظلام للعبيد، أي ان الله تعالى لن يجعل قلوبهم مختوما بلا سبب، فالله تعالى جعل ذلك عقوبة لهم وجزاء على كفرهم وأعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه. وهناك دليلان على ذلك فالأول قوله تعالى (إن الذين كفرو سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)، والثانى هو حرف الجر "على" الذى يقترن به الفعل ختم. هذا الحرف بمعنى الاستعلاء أي يدل على عظمة الله وقدرته على عباده الذين كفروا ولم يرتجوا هدايتهم. ولو قال "ختم الله قلوبهم" لكان هذا دليل على أن الله تعالى ظالم لعباده كما زعمو القدرية، ولكن قوله تعالى "ختم الله على قلوبهم" يدل على أن هناك السبب والمسبب أي بسبب أن الكافر لا يريد الحق ولو أشارهم الله إليه فطبع الله على قلوبهم بذلك، ولن يدخل الأيمان فى قلوبهم إلا بعد أن يخرج ما فى قلبهم من العناد والاستكبار.

٤. مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ. (١٧)

تأمل أن الله تعالى يستخدم الفعل ذهب يتعدى بحرف الباء، ولو حذف هذا الحرف لانقطع نور الله من المؤمنين والمنافقين كلهم، ولكن أراد الله سبحانه فى هذه الآية انقطاع النور من المنافقين خاصة.

وتأمل مرة أخرى كيف قال: (بنورهم) ولم يقل: بضوئهم مع قوله: (فلما أضاءت ما حوله)، لأن الضوء هو زيادة في النور، ولو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل ، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابا بالشيء وزيادته، وأيضا فإنه أبلغ في النفي عنهم وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم ، وأيضا: فإن الله سبحانه وتعالى سمى كتابه نورا، ورسوله صلى الله عليه وسلم نورا، ودينه نورا، وهداه نورا، ومن أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله.

٥. وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ. (٢٣)

أن الله تعالى يوصف إنزال الوحى على بعض صيغات، وقد تورد فى موضع على صيغة "أنزل" وفى موضع أخر على صيغة "نزل"، كما قال فى هذه الآية "مما نزل على عبدنا". وما الفرق بينهما؟ ولكل من الصيغتين معنى زائداً يخالف معنى الصيغة الأخرى ، وإن اتفقتا في المعنى الأصلي للنزول؛ فما كان بزنة (أفعل) يدل على النزول دفعة واحدة ، وما كان بزنة (فَعَّل) يدل على تكرار النزول وتتابعه ، لأن صيغة (أَفْعَل) من معانيها في العربية الدلالة على حدوث الفعل دفعة واحدة، وصيغة (فَعَّل) تدل على تكرار حدوث الفعل. وصيغة (أَنْزَلَ) في الآيات الآتية تدل نزول الكتب السماوية السابقة جملة واحدة، قال الله عز وجل في نزول التوراة على موسى .عليه السلام: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ...الخ. المائدة:٤٤). وقوله تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ).

وأما صيغة "نزل" وردت لدلالة على فعل نزول القرآن مفرقا منجما، كما فى قوله تعالى "مما نزلنا على عبدنا"، هنا اقترن الفعل نزل بـ"على" ليساعد به فى تعديته فجاء به معنى استعلاء المنزل وهو سبحانه على المنزل (محمد صلى الله عليه وسلم)، أي أن القرآن الذى قد وصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم حق من عند الله ولذلك عندما يشك الكافرون على ذلك تحداهم الله ليأتوا مثله بسورة، ولكن لم تفعلوا ولن تفعلوا أبدا.

٦. كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. (٢٦)

هذه الآية مناقشة القرآن لأولئك الكفار الذين أنكروا ربوبية الله تعالى مرة بعد مرة، وكيف تكفرون بالله؟. وكلمة "الكفر" من كفر-يكفر هو فعل اللازم، والكفر بضم الكاف أصله جحد المنعَم عليه نعمة المنعِم. والكَفر بفتح الكاف وهو الحجب والتغطية لأن جاحد النعمة قد أخفى الاعتراف بِهَا كَمَا أَنَّ شَاكِرَهَا أَعْلَنَهَا. وجاء الكفر فى هذه الآية بصيغة المضارع "تكفرون" وأصله كفر-يكفر-كُفرا، بضم الكاف فى المصدر. والكفر فى هذه الآية يتعدى بالباء مع أنه لازم، وهذا لأنه يتضمن معنى الشرك، والشرك يتعدى بالباء. والشرك أيضا أَشَدُّ صُوَرِ كُفْرِ النِّعْمَةِ إِذِ الَّذِي يَتْرُكُ عِبَادَةَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ قَدْ كَفَرَ نِعْمَتَهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِذْ تَوَجَّهَ بِالشُّكْرِ لِغَيْرِ الْمُنْعِمِ.

٧. هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيم. (٢٩)

قال السعدي: {اسْتَوَى} ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} وتارة تكون بمعنى "علا "و "ارتفع "وذلك إذا عديت بـ"على "كما في قوله تعالى: {ثم استوى على العرش} وتارة تكون بمعنى "قصد "كما إذا عديت بـ"إلى "كما في هذه الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات بإرادته ومشيئته بعد خلق ما في الأرض، من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر.{فسواهن سبع سماوات} فخلقها وأحكمها، وأتقنها، {وهو بكل شيء عليم} فهو {يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها} و {يعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} يعلم السر وأخفى.

٨. وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ. (٣٠)

هنا استخدم سبحانه الفعل "سبّح" وهو متعد بنفسه، ولكن لماذا جاء فى الآية أنه يقترن بالباء، فالمراد منه الملابسة أي نسبحك ونعظمك ملتبسين بحمدك فإنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك. ثم جاء قوله سبحانه "ونقدس لك"، وَفِعْلُ قَدَّسَ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ فَالْإِتْيَانُ بِاللَّامِ مَعَ مَفْعُولِهِ فِي الآية لِإِفَادَةِ تَأْكِيدِ حُصُولِ الْفِعْلِ نَحْوُ شَكَرْتُ لَكَ وَنَصَحْتُ لَكَ وَفِي الْحَدِيثِ عِنْدَ ذِكْرِ الَّذِي وَجَدَ كَلْبًا يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ (فَأَخَذَ خُفَّهُ فَأَدْلَاهُ فِي الرَّكِيَّةِ فَسَقَاهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ) أَيْ شَكَرَهُ مُبَالَغَةً فِي الشُّكْرِ لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ ضَعْفُ ذَلِكَ الشُّكْرِ مِنْ أَنَّهُ عَنْ عَمَلِ حَسَنَةٍ مَعَ دَابَّةٍ فَدَفَعَ هَذَا الْإِيهَامَ بِالتَّأْكِيدِ بِاللَّامِ وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ. فَمَعْنَى وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ نَحْنُ نُعَظِّمُكَ وَنُنَزِّهُكَ وَالْأَوَّلُ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالثَّانِي بِاعْتِقَادِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُنَاسِبَةِ لِلذَّاتِ الْعَلِيَّةِ.

٩. فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِين. (٣٦)

فسر المفسرون هذه الآية "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها" أي حملهما على الزلة بسببها، وتحقيقه أصدر زلتهما عنها، و"عن" يتناوب معنى اللام الذى بمعنى التعليل أي حملها على الذلة بسبب

الشجرة، هذه مثلها في قوله تعالى: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ [التوبة: ١١٤] والضمير على هذا للشجرة. وبعضهم قال كما ذكر الألوسى فى روح المعانى أن الفعل "أزل" يتضمن معنى "أذهب" أي أذهبهما عن الحق بطريقة أن يوسوس الشيطان لهما ويزين لهما تناول ما نهيا عنه.

فذهب الباحث إلى أن المراد من هذه الآية بأن الشيطان يسعى بكل جهدهم أن يوسوس أدم وحواء عليهما السلام حتى أذهبهما عن الحق بسبب تلك الشجرة.

١٠. فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ. (٣٧)

يظهر أن قوله تعالى "فتاب عليه" يعتبر عن حق العبد على الله فى توبته، ولكن بالمعروف ليس قبول التوبة واجبا على الله من طريق العقل، فما المراد من تعدية الفعل "تاب بعلى" هنا؟. بالتأمل والتدبر يتبين الباحث أن هذه الآية تدل على فضل الله تعالى على عباده فى توبته وأنه الذي سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في عين غضبه، وذلك يشير بقوله سبحانه "هو التواب الرحيم" فالتواب يدل على كثرة القبول لتوبة العباد.

وَأَصْلُ مَعْنَى تَابَ هو الرجوع من الذنب، وتاب العبد رجع إلى طاعة ربه. وَلَمَّا كَانَتِ التَّوْبَةُ رُجُوعًا مِنَ التَّائِبِ إِلَى الطَّاعَةِ وَنَبْذًا لِلْعِصْيَانِ، ولم يقل الله فى الآية "فتاب إليه، لأن تعدية الفعل "تاب بـ إلى" يطلق على معنى رجوع العبد إلى طاعة ربه، وهذا بمعنى أن العبد فى الذنوب ويريد غفران ربه، وذلك لم يليق باستعمال هذه الصيغة فى سياق الآية، وإنما أراد الله هنا إخبار أن نبوة ادم عليه السلام معصوم من الكبائر، وقد قبل توبته عن نسيانه كقوله تعالى(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا. طه:١٠٥). فجاء بصيغة هنا "تاب عليه"، تعدية الفعل تاب بـ على الذي يتضمن معنى الرضى، والدليل على ذلك هو حرف الجر "على"، لأن الفعل "رضي" قد يتعدى بـ على. فالمراد من هذه الآية أن النبي ادم عليه السلام فى رضا الله تعالى دائما قبل وبعد أن يتوب إلى الله تعالى.

١١. قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ. (٣٨)

وردت كلمة "هبط" فى القرآن على صيغ مختلفة، وقد يتعدى بالباء كقوله تعالى{يا نوح اهبط بسلام منا} يتضمن معنى حل، وقد يتعدى بنفسه كقوله تعالى {اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم} بمعنى النزول، وهذا معنى الأصل للهبط، وقد يتعدى بـ من كما فى الآية وفى بعض الايات الأخرى كقوله تعالى (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر) وكلمة "اهبط" هنا يتضمن معنى "الخروج". وقوله تعالى " قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعا" كذلك يتضمن معنى الخروج.

ولو سأل سائل: لم اختار ربنا الهبوط على الخروج؟ الجواب لو قال "اخرجوا منها" لضاع علينا معنى الهبوط أي النزول، فليس معنى خروج الجنة هو نزول أهلها (أدم، حواء عليهما السلام وذريتهما) إلى الأرض لأن الجنة يكون أعلى مراتب على الأرض. ولو قال اخرجوا منها، سينزلون إلى أين؟ لا بد من قرار ودار سلام وهو الأرض، ينزلون إليها وإلا بقون مرتحلا ليس لهم مقام.

فجمع التضمين الهبوط بمعنى النزول مع الخروج فأفداهما جميعا، أي معنى الآية أخرجوا من الجنة وأنتم تنزلون إلى الأرض تمتعون بالعيش إلى حين أو إلى يوم القيامة او إلى الموت.

١٢. وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ. (٣٩)

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيْها خالِدُونَ عطف على فَمَنْ تَبِعَ إلى آخره قسيم له كأنه قال: ومن لم يتبع بل كفروا بالله، وكذبوا بآياته، أو كفروا بالآيات جناناً، وكذبوا بها لساناً.

قال ابن عاشور فى التحرير والتنوير الْمُرَادُ بِآيَاتِنَا هُنَا آيَاتُ القرآن أَيْ وَكَذَّبُوا بِالقرآن أَي بِأَنَّهُ وَحْيٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: وَكَذَّبُوا بِآياتِنا بَاءٌ يَكْثُرُ دُخُولُهَا عَلَى مُتَعَلَّقِ مَادَّةِ التَّكْذِيبِ مَعَ أَنَّ التَّكْذِيبَ مُتَعَدٍّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ أَقِفْ فِي كَلَامِ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ عَلَى خَصَائِصِ لَحَاقِهَا بِهَذِهِ الْمَادَّةِ وَالصِّيغَةِ فَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا لِتَأْكِيدِ اللُّصُوقِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّكْذِيبِ[٩]، أي أنهم كذبوا بأيات الله، فأيات الله البينة لم تكن بعيدة منهم (القرب) فقد كان معهم دائما، ومع ذلك فتكذيبهم وغفلتهم كانت مستمرة.

وقد جاءت كلمتا (الكذب والكفر) مقترنة بـ (آياتنا) فى القرآن بتكرار ثمان مرات كالتالى: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ. البقرة)٣٩، (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

[٩] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ص. ٤٤٦.

وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠) وكذلك فى سورة المائدة-٨٦، الحج-٥٧، المؤمنون-٣٣، الحديد-١٩، التغابون-١٠.

وجائت كلمة (الكفر) مع (الأيات) فى القرآن أيضا مكررة أكثر من خمس مرات كقوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوفَ نُصلِيهِم نَارا..الخ. النساء:٥٦)، وفى سورة الكهف:١٠٥ (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِم وَلِقَائِهِۦ فَحَبِطَت أَعمَٰلُهُم فَلَا نُقِيمُ لَهُم يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ وَزنا).

وعليه لا شك أن التكذيب فى الآية التى نحن بصددها قد تضمن الكفر فيكون المعنى كذبوا مع الكفر بأياتنا وذلك يتناسب بأكثر الأيات فى القرآن التى قد ذكر، لأن الفعل "كفر" ثلاثى لازم ومتعد بحرف، فيكون تقدير معنى التضمين فى الآية (كذبوا بأياتنا) أي كفروا مع تكذيب بأياتنا.

١٣. يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ. (٤٠)

خصّ بنى إسرائيل بالذكر مرة أخرى فى هذه الآية، لأنهم أهل كتاب، ولأنهم شهود بأن ما نزل على محمد هو من عند الله، وأن محمدا هو النبيّ العربي المنتظر، كما يعرفون ذلك من التوراة، عن يقين. وقوله تعالى "اذكرو نعمتي التى أنعمت عليكم"، أراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدّد عليهم: من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق. ومن العفو عن اتخاذ العجل، والتوبة عليهم، وغير ذلك، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم المبشر به في التوراة والإنجيل.

تأمل كلمة "أنعمت" أنها جاءت بتعدية المفعول بحرف الجر (على) مع أنها متعد بنفسه. قال أبو حيان: تضمَّن (أنعم) معنى (التفضيل). لأن الأصل أن يصل إلى المفعول بنفسه، وأنعمت عينَه: أي سررتها. وأنعم عليه: بالغ في التفضل عليه والهمزة في (أنعم) تجعل الشيء مصاحبا لما صيغ منه إلا أنه ضمن معنى التفضل فعُدِّي بـ(على) وأصله التعدية بنفسه. فيكون تقدير معنى الآية اذكروا بما فضلتكم على العالمين من الجم الغفير والنعام الكثير، كما سبق ذكره.

الفعل (أنعم) إذاً يتعدى بـ(على) كما جاء في قوله سبحانه: (نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) وفي قوله: (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) وفي قوله سبحانه: (قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا) وفي قوله سبحانه: (أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ

النَّبِيِّينَ) وفي قوله سبحانه: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) وقوله سبحانه: (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) وغيرها كثير.

١٤. وَءَامنواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ. (٤١)

قوله تعالى "ولا تشتروا بأيتى ثمنا قليلا" عَطْفٌ عَلَى النَّهْيِ الَّذِي قَبْلَهُ وَهَذَا النَّهْيُ مُوَجَّهٌ إِلَى عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمُ الْقُدْوَةُ لِقَوْمِهِمْ وَالْمُنَاسَبَةُ أَنَّ الَّذِي صَدَّهُمْ عَنْ قَبُولِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ هُوَ خَشْيَتُهُمْ أَنْ تَزُولَ رِئَاسَتُهُمْ فِي قَوْمِهِمْ فَكَانُوا يَتَظَاهَرُونَ بِإِنْكَارِ القرآن لِيَلْتَفَّ حَوْلَهُمْ عَامَّةُ قَوْمِهِمْ فَتَبْقَى رِئَاسَتُهُمْ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ آمن بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَآمن بِيَ الْيَهُودُ كُلُّهُمْ» . وَقَدِ اسْتُعِيرَ الِاشْتِرَاءُ هُنَا لِاسْتِبْدَالِ شَيْءٍ بِآخرَ دُونَ تَبَايُعٍ.

وبالتأمل أن الله تعالى يستخدم فى هذه الآية فعل "اشترى" ليس شرى أو غيره. وليس الشراء هنا حقيقيا، بل هو على سبيل المجاز والدليل على ذلك حرف الجر (الباء) بعده، لأن الفعل "اشترى" يتعدى بنفسه ويطلق على معنى أخذ فتقول اشترى االرجل الكتاب أي أخذه وتملكه، ولكن جاء فى الآية متعديا بالباء فيتضمن معنى مقابل ويفيد التبادل أي يبادل شيئا بشيء، والباء للارتباط.

وبالمعروف أن فى عملية الشراء هناك تبادل بين كائنين، يقدم أحدهما إلى الأخر شيئا يملكه، ويحصل من الأخر مقابله على شيئ يملكه الأخر. وفى فعل "اشترى-يشترى" يكون فاعل الفعل الذي يشترى، لديه طمع وحرص على تملك شيئ أو منفعة مملكة من أخر، ولذلك فهو يعرض ويبذل ويعطي مقابلها شيئا ذو قيمة، فهو يضحى بملك عزيز لديه للحصول على شيء يظنه أكثر متعة ونفعا، فهو يعرض شيئا للبيع بجهد وحرص مقابل شيء يريده بشدة. وكذلك فى هذه الآية وصف الله فعل علماء بنى اسرائيل بأنهم استبدل شيئا نفيسا بشيء بخس وبزعمهم أنها نفيع لهم، وهم لا يؤمنون بما أنزل الله مصدقا لما معهم. فنهاهم الله بقوله "ولا تشتروا بأياتنا ثمنا قليلا" أي لا تشتروا بأياتنا بأن تبادلوها بشيء بخيس لا ثمن له.

وجاء الفعل "اشترى" فى هذه السورة على نفس الصيغة كقوله تعالى: (فَوَيل لِّلَّذِينَ يَكتُبُونَ ٱلكِتَٰبَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِن عِندِ ٱللَّهِ لِيَشتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنا قَلِيلا فَوَيل لَّهُم مِّمَّا كَتَبَت أَيدِيهِم وَوَيل لَّهُم مِّمَّا يَكسِبُونَ: ٧٩) أي يشترون ثمنا قليلا بكتابة الكتاب بأيديهم.

وقوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكتُمُونَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلكِتَٰبِ وَيَشتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأكُلُونَ فِي بُطُونِهِم إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يومَ ٱلقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِم وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ: ١٧٤) أي يشتروا ثمنا قليلا بكتمان ما أنزل الله من الكتاب.

١٥. وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ. (٤٣)

كثير من أيات القرآن وجد الباحث أن الله تعالى يختص بذكر الركوع عند التحدث عن الصلاة كما فى الآية. (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) خِطَابٌ لِلْيَهُودِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالرُّكُوعِ الِانْقِيَادُ وَالْخُضُوعُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الرُّكُوعُ الْمَعْرُوفُ فِي الصَّلَاةِ.

كان الفعل "ركع" لازما وقد يتعدي بحرف الجر "إلى أو اللام" يدل على معنى خضَع كقولك ركع فلان إلى الله أي خضع وتواضع، ولكن فى الآية جاء بعد متعد بحرف الجر (مع) وهذا تَأْكِيدٌ لِمَعْنَى الصَّلَاةِ لِأَنَّ لِلْيَهُودِ صَلَاةً لَا رُكُوعَ فِيهَا فَلِكَيْ لَا يَقُولُوا إِنَّنَا نُقِيمُ صَلَاتَنَا، دَفَعَ هَذَا التَّوَهُّمَ بِقَوْلِهِ (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) أي صلوا راكعين مع المصلين. وَيَكُونُ فِي قَوْلِهِ "مَعَ" دَلَالَةٌ عَلَى إِيقَاعِهَا فِي جَمَاعَةٍ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ أَوَّلًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِيقَاعُهَا فِي جَمَاعَةٍ. وهذا أيضا دليل على وجوب ممثالة الْمُسْلِمِينَ فِي أَدَاءِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ الْمَفْرُوضَةِ فَالْمُرَادُ بِالرَّاكِعِينَ الْمُسْلِمُونَ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِتْيَانِ بِالصَّلَاةِ بأركانها وشرائطها.

وَالرُّكُوعُ طَأْطَأَةُ وَانْحِنَاءُ الظَّهْرِ لِقَصْدِ التَّعْظِيمِ أَوِ التَّبْجِيلِ، وَقَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ تفْعَلُهُ لِبعْضِ كُبرَائِهِمْ، قَالَ الْأَعْشَى: إِذَا مَا أَتَانَا أَبُو مَالِكٍ ... رَكَعْنَا لَهُ وَخَلَعْنَا الْعِمَامَةْ

١٦. ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ. (٥٢)

هذه الآية تَذْكِيرٌ لبنى اسرائيل بِنِعْمَةِ عَفْوِ اللَّهِ عَنْ جُرْمِهِمُ الْعَظِيمِ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ وَذَلِكَ مِمَّا فَعَلَهُ سَلَفُهُمْ، فَإِسْنَادُ تِلْكَ الْأَفْعَالِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ بِاعْتِبَارِ مَا عُطِفَ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ: ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ فَإِنَّ الْعَفْوَ عَنِ الْآبَاءِ مِنَّةٌ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَبْنَائِهِمْ يَجِبُ عَلَى الْأَبْنَاءِ الشُّكْرُ.

العفو أصله فى اللغة المحو والإزالة، يقال عفا-يعفو-عفوا فهو عاف. وكل من اشتحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه. قال الألوسى فى روح المعانى أن "عفا" فى قوله (ثم عفونا عنكم) بمعنى درس ومحا وهذا مأخوذ من قول العرب عفت الرياح الآثار، إذن درستها ومحتها.

الفعل "عفا" قد يتعدى بنفسه أو يتعدى بحرف الجر "عن" ويطلقا على معنى المحو أو الترك أو الإزالة، ولكن هناك فرق فى استعمال بينهما، ان "العفو" المتعدى بنفسه استخدمها العرب فى إزالة كل الشيء كقولهم (عفت الرياح الآثار)، وأما "العفو" المتعدي بحرف الجر (عن)، استخدمها فى مجال العفو عن الذنب أو الجرم أو السيئات أي يطلق على إزالة المعنوية كما فى الآية "ثم عفونا عنكم". لماذا لم يقل ثم عفوناكم؟ إن حرف الجر "عن" يدل على معنى التجاوز ولو حذف فكأنما يكون هناك نوع من الصلة التى تزيلها "عن"، وتقديرها الجرم أو السيئات منفصلة من المسيء، فيليق السياق هنا باستخدام (عن) ليدل على تجاوز الجرم عن المجرم.

قال ابن الأثير من أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى «العَفُوّ» هُوَ فَعُول، مِنَ العَفْو وَهُوَ التَّجاوزُ عَنِ الذَّنْب وتركُ العِقَاب عَلَيْهِ، وأصلُه المَحْوُ والطَّمْسُ، وَهُوَ مِنْ أبْنيةِ المُبَالغة. يُقَالُ: عَفَا يَعْفُو عَفْواً، فَهُوَ عَافٍ وعَفُوّ.[١٠] وقال الغزالى "والعفو صفة من صفات الله تعالى وهو الذى يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصى وهو قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه، فإن الغفران ينبئ عن الستر والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر.

ولذلك قوله تعالى"ثم عفونا عنكم من بعد ذلك" هنا استخدم كلمة العفو لا غيرها فأراد منها المنح أو الإزالة عن الجرم الذي ارتكبه علماء بنى اسرائيل وهو اتخاذهم العجل إلها لهم. وهذ العفو عن الزلة العظيمة من أعظم النعم الذي يظهر الله لهم، ولا بد من شكر لله عليه (لعلكم تشكرون).

١٧. وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ. (٥٥)

أي اذكروا يا بني إسرائيل حين خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل فقلتم يا موسى لن نصدقك في أن الكلام الذي نسمعه منك هو كلام الله، حتى نرى الله عِيَانًا، فنزلت نار من السماء رأيتموها بأعينكم، فقَتَلَتْكم بسبب ذنوبكم، وجُرْأتكم على الله تعالى.

جاء إخبار الله تعالى عن إيمان بنى اشرائيل حيث أن الله تعالى يقول "لن نؤمن لك". وقد اختلف معنى الإيمان فى القرآن باختلاف حرف التعدية يقترن به، كلمة الإيمان فى اللغة مصدر آمن قد تتعدى باللام والباء. فالمعداة باللام معناها التصديق فيقال (آمن له) بمعنى صدقه فيما

[١٠] ابن الأثير، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، (بيروت: المنتبة العلمية، ١٣٩٩)، ج.٣، ص.٢٦٥.

يقول وترد أيضا معداة باللام بمعنى التسليم فيقال (آمن له) بمعنى سلمه أو حفظ غيبته فلم يتكلم فى عرضه ولم يلمه فى غيبته، كقوله تعالى فى سورة التوبة:٦١ (..يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ..) أي يصدِّق الله فيما يقول، ويصدِّق المؤمنين فيما يخبرونه به لعلمه بإخلاصهم.

وأما كلمة (آمن) المعداة بالباء فإنها تقتضى زيادة على التصديق وهو التصديق اللازم الذي لا يقبل الشك، والذى يقتضى عملا، ولهذا لا يحل أن يتعدى (آمن) بالباء إلا على ما هو ركن من أركان الإيمان. تقول آمن فلان بالله، أو آمن بالرسول، أو آمن بالكتاب، أو آمن بالملائكة، أو آمن بالملائكة، أو آمن بالقدر، لكن لا يحل أن تقول آمن بفلان من الناس، بمعنى صدقه، ولا يجوز أن تقول آمنت بالمذهب المفلانى لأن هذا وإن كان تصديقا لكنه لا يقتضى الجزم. ولكن يجوز أن تقول آمن للمذهب الفلاني، أو آمن للخبر الفلانى، أو آمن لفلان بمعنى صدقه، إذن تعديتها بالباء تقتضى التصديق الجازم لا يقبل الشكويقتضى بالعمل.

وبالتأمل قوله تعالى (وإذ قلتم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)، جاء هنا بتعدية الفعل "آمن" باللام، وهذا يدل على حالة إيمان بنى إسرائيل لموسى عليه السلام ليس بتصديق الجازم، وإنما على وجه الإقرار باللسان فقط، وهذا يليق بسياق الآية (حتى نرى الله جهرة) أي لن يؤمنوا فيما جاء به سيدنا موسى عليه السلام من التورة قبل ان يرو الله جهرة.

وَإِنَّمَا عَدَّى نُؤْمِنَ بِاللَّامِ لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ وَلَنْ نُقِرَّ لَكَ بِالصِّدْقِ، وَالَّذِي دَلَّ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ الْمَحْذُوفِ هُوَ اللَّامُ وَهِيَ طَرِيقَةُ التَّضْمِينِ.

١٨. وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. (٥٧)

واذكروا نعمة الله عليكم حين كنتم تتيهون في الأرض، إذ سَخَّر اللهُ لَكم السحابَ مظللا عليكم من حَرِّ الشمس حَتَّى خَرَجتم إلى الأَرض المقدَّسة، وأنزل الله عليكم المنَّ، وهو شيء يشبه الصَّمغ طعمه كالعسل، وأنعم الله عليكم بأنواعٍ من الطعام والشراب من غير كدٍّ ولا تعب، والمنُّ كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه، والسلوى، طير يشبه السمانى لذيذ الطعم.

وَالفعل "ظلل" فى قوله تعالى (وظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ) فى اللغة يتعدى مَفْعُولا بِهِ بنفسه، فيكون بمعنى جعْل الشَّيْءِ بِمَعْنَى مَا صِيغَ مِنْهُ كقولك (ظَلّلته الشّجرة) أي ألقت عليه ظِلّها، وفى الحديث (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ).

وقد ورد الفعل "ظلل" هنا يتعدى بحرف الجر (على) يكُونُ فَعَّلَ فِيهِ بِمَعْنَى أَفْعَلَ، فَيَكُونُ التَّضْعِيفُ أَصْلُهُ لِلتَّعْدِيَةِ، ثُمَّ ضُمِّنَ مَعْنَى فِعْلٍ يُعَدَّى بِعَلَى، فَكَانَ الْأَصْلُ: وَظَلَّلْنَاكُمْ، أَيْ أَظْلَلْنَاكُمْ بِالْغَمَامِ، ثُمَّ ضُمِّنَ ظَلَّلَ مَعْنَى كَلَّلَ أَوْ شِبْهَهُ مِمَّا يُمْكِنُ تَعْدِيَتُهُ بِعَلَى، فَعَدَّاهُ بِعَلَى. وَلَيْسَ الْمَعْنَى عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ اللَّفْظِ، إِذْ ظَاهِرُهُ يَقْتَضِي أن الغمام ظلل علينا، بل يَكُونُ قَدْ جُعِلَ عَلَى الْغَمَامِ شَيْءٌ يَكُونُ ظُلَّةً لِلْغَمَامِ. فيكون تقدير معنى الآية وظللناكم إذ كلل عليكم الغمام. إذن قد يتعدى الفعل "ظلل" إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر "على".

١٩. وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامنواْ قَالُوٓاْ ءَامنا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. (٧٦)

قوله تعالى (بما فتح الله عليكم)، كلمة (فتح) فى اللغة قد يتعدى بنفسه ويطلق على معنى المحسوس والمعنوى، والمحسوس كقولك (فتحت درجا) وأما المعنوى كقولك (فتح الله قلبه للأمر) أي شرحه. ولكن قد يتعدى أيضا بحرف الجر (على) ويدل على معنى المحسوس كقولك (فتح الله عليه)، أي أرشده وهداه. إذن قد يتعدى الفعل (فتح) بنفسه وبغيره أو بواسطة حرف الجر، ويدل على معنى المحسوس والمعنوى.

وقوله تعالى (بما فتح الله عليكم)، جاء هنا متعديا بحرف الجر (على) إذن يدل على معنى المحسوس، وقد يضمن معنى الفعل الآخر وهو الفعل (أنزل أو قضى) لأنه متعد بحرف الجر (على) ويناسب سياق الآية. فيكون تقدير معنى الآية أتحدثونهم بما فتح الله أي أرشدكم الله إذ أنزل الله عليكم فى التورة.

ولو سأل سائل لم عدل سبحانه "فتح" على أنزل؟ ولو قال سبحانه بما أنزل عليكم لضاع معنى (فتح)، ولكن إذ أراد الله مجموعة المعنى من الفعلين، وذلك من إيجاز القرآن. وهذا يوافق بقول أبو حيان فى كتابه "البحر المحيط فى التفسير" نقلا من أقوال العلماء "فَعَلَى مَا قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ يَكُونُ الْفَتْحُ بِمَعْنَى الْإِعْلَامِ وَالْإِذْكَارِ، أَيْ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا أَعْلَمَكُمُ اللَّهُ مِنْ صِفَةِ نَبِيِّهِمْ؟ وَرَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَعَلَى قَوْلِ السُّدِّيِّ: يَكُونُ بمعنى الحكم وَالْقَضَاءِ، أَيْ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا حَكَمَ

اللَّهُ بِهِ عَلَى أَسْلَافِكُمْ وَقَضَاهُ مِنْ تَعْذِيبِهِمْ؟ وَعَلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ يَكُونُ بِمَعْنَى: الْإِنْزَالِ، أَيْ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي التَّوْرَاةِ؟ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: الْمَعْنَى بِمَا قَضَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ رَاجِعٌ لِمَعْنَى الْإِنزَالِ".[11]

٢٠. وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ..الخ. (١٠٢)

(على) قدرها الطبري بمعنى (في) أو (الباء)، في زمن سليمان، أو بملك سليمان وذهب الرازى إلى تضمين تتلو معنى تفتري وتكذب. وذهب الآلوسي: إلى أن تتلو: معناره تتبع أو تقرأ. و (على ملك) متعلق بـ تتلو وفي الكلام مضاف محذوف أي عهد ملكه وزمانه. أو (الملك) مجاز عن (العهد). و (على) بمعنى (في) وقد صرح في التسهيل بمجيئها للظرفية، لأن الملك وكذا العهد لا يصلح مقروءا عليه.

ومن الأصحاب من أنكر مجيء على بمعنى في وجعل هذا من تضمين تتلو معنى تتقول (يعني تفتري). وقال الزركشي: تتلو الشياطين على ملك سليمان أي في زمن ملك سليمان (الظرفية) ومثله الموزعي وأما ابن السيد البطليوسي فضمن تتلو معنى تتقول وتفتري فعداه تعديته ويمكن أن تكون (على) إنما استعملت هاهنا لأن معناه أنهم تقولوا على ملك سليمان ما لم يكن فيه. كما يقال: تقولت عليه ما لم يقل. ونص الفراء على أن (في) تصلح مكان (على). وهذا ما يوافق بقول الرازى "أن الْأَقْرَبُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ الآية وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ افْتِرَاءً عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَءُونَ مِنْ كُتُبِ السِّحْرِ وَيَقُولُونَ إِنَّ سُلَيْمَانَ إِنَّمَا وَجَدَ ذَلِكَ الْمُلْكَ بِسَبَبِ هَذَا الْعِلْمِ، فَكَانَتْ تِلَاوَتُهُمْ لِتِلْكَ الْكُتُبِ كَالِافْتِرَاءِ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ.[12]

وقال الباحث ولعل ما ذهب إليه أبو بكر والرازى في تضمين تتلوا معنى تفتري وتتقول على عهد سليمان هو الأدنى لما عليه السياق، ينقولون عليه ما لم يقله افتراءَ عليه، ولا مساغ لتناوب الحروف وتعاورها: (على) بمعنى (في) أو (الباء) أو سواه. فمن أصر فليأخذْ في غير هذه الصناعة.

ويكون تقدير معنى الآية أن أهل الكتاب اتبعوا ما تفتريه الشياطين على عهد سليمان، يضللون الناس به من دعاوى مكذوبة على لسانهم، وقالوا أن سليمان كان ساحرا وأنه سخر ما سخّر عن طريق السحر الذي كان يعلمه ويستخدمه، فنفى القرآن عنه بأنه كان ساحرا (وَمَا كَفَرَ

[11] ابو حيان، *البحر المحيط فى التفسير*، ص. ٤٤١.

[12] الرازى، *مفاتيح الغيب*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)،ط.٣، ج.٣، ص.٦١٨.

سُلَيْمَانُ) فجعل السحر واستخدامه كفرا، وأثبته للشياطين، (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ).

ولماذا عدل ربنا عن لفظ الافتراء إلى لفظ التلاوة؟ ولو قال "تفتروا" لضاع معنى التلاوة ولا يتناسب بسياق الآية، وإنما أراد سبحانه أن يعز سليمان بأنه ليس كافرا ولا ساحرا، وما يتلوه الشياطين عنه كله كذب.

٢١. وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ. (١٣٠)

أي لا يُعرض أحد عن دين إبراهيم، وهو الإسلام إلا سفيه جاهل، ولقد اخترنا إبراهيم في الدنيا نبيًّا ورسولا وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم أعلى الدرجات.

تأمل الآية حيث أن الله تعالى يقول "ومن يرغب عن ملة إبراهيم"، وكلمة "الرغب" هنا يقترن بحرف الجر (عن) مع أنها قد يقترن فى بعض أيات القرآن بحرف الجر (فى) أو (إلى) أو (الباء)، فما الفرق بين كل منها؟ وما المراد من الآية التي وردت فيها (رغب عن)؟.

والفعل (رغب) حين عدى إلى المرغوب بفي الظرفية التي تقتضي أن المرغوب احتوى الرغبة كما يحتوى الظرف على المظروف، أنبأ ذلك عن معنى الحرص وكأنه أفرغ كل رغبته فيه، وحين عدى بالى التي تدل على انتهاء الغاية، أفاد انصراف الراغب إلى مرغوبه، وتوجهه إليه، وانصرافه عما عداه كقوله تعالى (إنا إلى ربنا راغبون... التوبة:٥٩)، وحين عدي بالباء التي تفيد الإلصاق كما في قوله تعالى (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه...التوبة:١٢٠) دل على الضن والبخل بها، لأن إلصاق الرغبة بالأنفس يدل على شدة الارتباط بها وعدم التفريط فيها. وأما وحين عدي بحرف المجاوزة، دل بما اكتسبه من معنى هذا الحرف على الانصراف عن الشيء وتجاوزه كما فى الآية (ومن يرغب عن ملة إبراهيم).

فهذه المعاني التي تواردت على فعل الرغبة إنما اتسع لها بحكم ما اكتسبه من معاني الحروف التي وصل بها.

٢٢. فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ. (١٥٢)

وقوله تعالى (واشكروا لِي) من شكر-يشكر شكرا، شكر الله أي حمده وذكر نعمته، وأصله فى اللغة بمعنى الظهور والذكر، وأما فى القرآن عبارة عن عبادة الله ثناء عليه وامتنانا لفضله العظيم.

وقد يتعدَّى الشكر فى القرآن تارةً بنفسِ وتارةً بحرفِ جَرٍّ، بِحَقِّ الْوَضْعِ فِيهِمَا. بالنسبة بنفسه عادة يطلق على الشكر للنعمة كقوله تعالى (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ. النمل:١٩)، وأما بالنسبة أنه متعد بحرف الجر (اللام)، يدل على الشكر للمنعم لقول تعالى (أن أشكر لله ولواليا) وكما فى هذه الآية (واشكروا لى).

وَلِذَلِكَ فَسَّرَ الزَّمَخْشَرِيُّ هَذَا الْمَوْضِعَ بِقَوْلِهِ (وَاشْكُرُوا لِي مَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ). وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَاشْكُرُوا لِي، وَاشْكُرُونِي بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَ(لِي) أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ مَعَ الشُّكْرِ وَمَعْنَاهُ: نِعْمَتِي وَأَيَادِيَّ، وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: شَكَرْتُكَ، فَالْمَعْنَى: شَكَرْتُ لَكَ صَنِيعَكَ وَذَكَرْتُهُ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ، إِذْ مَعْنَى الشُّكْرِ: ذِكْرُ الْيَدِ وَذِكْرُ مُسْدِيهَا مَعًا، فَمَا حُذِفَ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ اخْتِصَارٌ لِدَلَالَةِ مَا بَقِيَ عَلَى مَا حُذِفَ. وإنما قدم الذكر على الشكر فى قوله (واذكرونى) لأن في الذكر اشتغالا بذاته تعالى وفي الشكر اشتغالا بنعمته، والاشتغال بذاته تعالى أولى من الاشتغال بنعمته.

وقال ابن عاشور وَقَوْلُهُ تعالى (وَاشْكُرُوا لِي) أَمْرٌ بِالشُّكْرِ الْأَعَمِّ مِنَ الذِّكْرِ مِنْ وَجْهٍ أَوْ مُطْلَقًا، وَتَعْدِيَتُهُ لِلْمَفْعُولِ بِاللَّامِ هُوَ الْأَفْصَح وَتسَمى هَذِه اللَّامُ لَامَ التَّبْلِيغِ وَلَامَ التَّبْيِينِ كَمَا قَالُوا نَصَحَ لَهُ وَنَصَحَهُ.

ترى أن الشكر باللام فى الآية (واشكروا لى) وفى الآية (أن أشكر نعمتك) هناك فرق بينهما، إذ الأول عداه باللام ويدل على الشكر المخصوص للمنعم، والثانى الشكر للنعمة التى أنعمه المنعم.

٢٣. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامنواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىٰۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ...الخ. (١٧٨)

وقد ورد لفظ "كتب" فى ثلاثة مواضع من سورة البقرة منها قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ/١٨٣)، وقوله (كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ/٢١٦) وقوله سبحانه فى هذه الآية (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ).

ذكر العز بن عبد السلام فى كتابه (تفسير العز بن عبد السلام) أن لفظ (كتب) بمعنى فرض وألزم. فضمن الكتاب معنى الفرض. وقال أبو حيان: أخبر تعالى بكتب القصاص أولا وهو إزهاق الروح وإتلافها. وهو أشق التكاليف ثم بكتب الوصية وهو إخراج المال عديل الروح، ثم بكتب الصيام وهو منهك للبدن.

وقال الباحث اعتمادا على ما قاله المفسرون أن لفظ (الكتب) كما سلف مضمن معنى (الفرض) فهو متعد بما تعدى به، فإذا سأل سائل: ما معنى أن يجيء التعبير بالكتب ولم يَرِد بالفرض؟

الجواب، لأن أحكام اللَّه أنزلها في كتابه وكتبها على عباده، فالكتابة تثبيت لأحكامه المفروضة على العباد والفرض قديم والكتابة محدثة. ولو قال (فرض عليكم القتال)، أو (فرض عليكم الصيام)، أو (فرض عليكم القصاص) لكان وقع أمر، وإلزام الفريضة أقل من كلمة (كتب). وهذا من باب الحكم لأن كلمة (كتب) تحمل معنى فرض وزيادة، وهذه الزيادة هي: أن هذا الأمر قد فرض الله عليك وسجله عنده.

أضرب على ذلك مثالا: أنا أقدم لك قرضا، ثم أسجل عليك هذا القرض، وأجعلك توقع عليه. فأنت تشعر بأن هذا الدين صار آكد فى ذمتك مما لو اقترضت ولم يكتب عليك سند. لذلك كلمة (كتب) تحمل معنى فرض وزيادة وهي التوثيق، والإنسان يلتزم بالأمر ويلتزم بتوثيق الأمر بالأمر أكثر.لأن الإنسان يريد أن تكون رقبته محررة.

وهكذا يكشف اللفظ في التضمين عن أبعاد مدلوله، حسب وضعه في سياقه مما استودعته فيه هذه اللغة الشريفة.

إنَّ الصوم استعلاء على ضرورات الجسد وإيثار للآجلة على العاجلة. والقصاص استعلاء على العواطف وحظوظ النفس في القتل أو عند قبول الدية على حد سواء. والجهاد استعلاء بالبشرية كلها أن ترتفع على ذاتها، وتتمرس على طاعة ربها.

وما جاءت (على) في الفروض الثلاثة إلا لتظهر فيها مزية من الجهة التي هي أصح لتأديتها، وأخص بها، وأكشف عنها، وأبهر في صناعها. ويبقى التضمين في الفعل تروعك بهجته ويؤنسك بوجهه.

٢٤. فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ. (١٨٥)

ذكر الزمخشري والعز: إن (كبَّر) عُدِّي بحرف الإستعلاء (على) لأنه تضمَّن معنى (الحمد). وقال ابن عباس (تكبروا) أي تعظموا. وروى الآلوسي أن المراد من التكبير الحمد والثناء مجازا لكونه فردا ولذلك عُدِّي بـ (على)، واعتبار التضمين أي لتكبروا حامدين ليس بمعتبر لأن الحمد نفس التكبير ولكونه على هذا عبادة قولية، ناسب أن يُعلل به الأمر بالقضاء الذي هو نعمة قولية أيضا.

وقال أبو السعود فى كتابه (تفسير أبي السعود) أن تعدية فعل التكبير بـ (على) لتضمنه معنى الحمد، كأنه قيل: ولتكبروا اللَّه حامدين على ما هداكم والمعنى بالتكبير: تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه.

وأشار السيوطي أيضا (على ما هداكم) أي لهدايته إياكم. و(على) بمعنى اللام. وكذلك الزركشي والموزعي.

وروى أبو حيان أن التكبير فى قوله تعالى (ولتكبروا الله) يتضمن معنى الحمد، كَأَنَّ الله يقول: وَلِتَحْمَدُوا اللَّهَ بِالتَّكْبِيرِ عَلَى مَا هَدَاكُمْ. وقيل: التكبير عند رؤية الهلال في آخر رمضان، وقال ابن عباس: هلال شوال. وقيل: التكبير المسنون في العيد. وقال سفيان: يوم الفطر.

بعد أن ذكر الباحث بعض اقوال المفسرين فيرى أن (التكبير) يتضمن معنى (الحمد والثناء) فعُدي تعديته، فما علاقة التكبير بالحمد إذن؟ الصوم نعمة من نعم اللَّه يستحق منا الشكر والحمد والثناء، أما التكبير والتعظيم فمظهر من مظاهر الثناء على اللَّه المجيد. فالصائمون يشعرون بنعم اللَّه محسوسة ملموسة في استجابتهم لأوامره وفي استجابته لدعائهم (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ) فليكبروا اللَّه الماجد ويحمدوه على هذه الدورة التربوية في مدرسة رمضان.

وإذا كان التكبير صورة من صور الحمد والثناء، على اللَّه فتعظيم اللَّه وتمجيده لا يتم إلا بحسن الثناء عليه وفي الصلوات الإبراهيمية: الحمد مقرونٌ بالتمجيد والتعظيم (إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) وهل يليق حسن الثناء إلا بعظيم! وهل يستحق الحمد إلا الكبير الجليل! والتكبير في الحج تعظيم للجليل وتمجيد مقرون بالحمد (اللَّه أكبر ولله الحمد) فهو صورة من صور الثناء على الله،

فمزية التضمين أنه جمع المعنيين جميعا ليجعل اللغة وسيلة تساعدنا بحسن الصنعة ولطف المأخذ على تكييف سلوكنا مع كتاب اللَّه وأوامره.

٢٥. أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ.،الخ. (١٨٧)

كَلِمَةُ "الرَّفَثِ" مَصْدَرُ "رَفِثَ يَرْفَثُ رَفَثاً" أي: صَرَّحَ بكلامٍ يتعلَّقَ بالجماعِ ومُقدّماته، أو فعَلَ ما يتَّصِل بذلك.

وأصل الرفَث لا يَتعدَّى لغة بحرف "إلَى" لكنّه ضُمِّنَ مَعْنَى فِعْلِ "أَفْضَى" فَعُدِّيَ تعديتَه، يُقَالَ: أَفْضَى إلى زوجته، أي: أزال ما بَيْنهما من الفضاء فالتصقَ بها، وهو كناية عن الجماع.

ذكر أبو حيان: عُدي الرفث بـ(إلى) وإن كان أصله الباء لتضمنه معنى (الإفضاء). وقد ذهب ابن جني وغيره كابن الشجري والزركشي إلى أنها في معنى الإفضاء.

وأنت لا تقول رفثت إلى المرأة وإنما تقول: رفثت بها أو معها، ولكنه لما كان الرفث هنا بمعنى الإفضاء، وكنت تُعدي أفضيت بـ إلى، جئت بـ(إلى) مع الرفث إيذانا بأنه في معناه.

وقال الباحث الرفث أي الإفحاش وهو بالفرج (الجماع) وباللسان: المواعدة للجماع، فتضمين الرفث وهو مقدمات المباشرة أو المباشرة ذاتها معنى الإفضاء. والمتعدي بـ (إلى) يمنح العلاقة بين الزوجين لمسة إنسانية تترفع بها عن عالم الحيوان، لمسة حانية فيها من الرفق والنداوة والشفافية مثلما ما فيها من سمّو المشاعر.

وتقدير الكلام: أُحِلّ لَكُمْ ليلةَ الصّيام الرَّفَثُ بالحديث مع نسائكم مُقَدِّمَةً مُنَاسِبَةً يكونُ بَعْدَها الإفضاء إليّهن وجماعُهُنَّ، والله بهذا يُعَلِّم الأزواج أدب المعاشرة باستخدام المقدمات قبل الإفضاء والمعاشرة الزوجيّة.

٢٦. وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ. (١٩٥)

قال الزمخشري: الباء فى قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) مزيدة مثلها: أعطى بيده للمنقاد. والمعنى: لا تُقْبِضُوا التهلكة أيديكم، أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم. وقيل بأيديكم: بأنفسكم. وقيل: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم. وقال البيضاوي: والباء مزيدة والمراد بالأيدي: الأنفس. ولا تلقوا بأيديكم إليها فحذف المفعول وعدى الإلقاء بـ(إلى) لتضمنه معنى الإنهاء.

وقال محمد نديم فاضل فى كتابه " التضمين النحوي في القرآن الكريم"، ولعل تضمين (ألقى) معنى (رمى) والمتعدي بالباء يعفينا من القول بزيادة الباء فالبيان المعجز غني عن الزيادة، ولأن الفعل (ألقى) لا يتعدى بالباء. وفي لفظ (الرمي) ما ليس في الإلقاء من المهانة والمشْأمة قَالَ تَعَالَى: (تَرْمِي بِشَرَرٍ) وقال: (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ) وقال: (يَرْمِ بِهِ بَرِينًا) وهذا الإيحاش مراد في سياق الشح بالمال والإمساك عن النفقة في تجهيز الغزاة، مقصود في عجز الأمة وهزيمتها حين تتخلف عن جهاد عدوها.[١٣]

بالتأمل أن هذه الآية توضح أن الوقوع في المهالك سببه الشح وترك النفقة في القتال وتجهيز الغزاة، أو الجبن عن بذل النفس في ساحات الجهاد، فتُمنى الأمة بالهزيمة فتهلك. فإن انتهوا عما نهاهم الله عنه بلغوا درجة الإحسان: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) فالمعنى الأول: يجعلك تنفق في سبيل الله ولا تلقي بيدك إلى التهلكة بترك القتال، والمعنى الثاني؛ لا تُقدِم على القتال بلا إعداد كافٍ. فالله يريد منا أن نزن الأمور وزناً يجعلنا: لا نترك الجهاد فيغلب علينا عدونا فنهلك، ولا نحب القتال لمجرد الرغبة فيه قبل التدريب فيه والاستعداد له.

ولذلك يرى الباحث أن لفظ (ألقى) يتضمن معنى رمى كما ذهب فاضل من قبل، فتقدير معنى الآية "فلا ترموا أنفسكم إلى التهلكة بأيديكم أي بما جنته أيديكم من الشح في النفقة في تجهيز الغزاة".

والسؤال أخيراً لم جاء التعبير (بالإلقاء) بدل (الرمي)؟ نفس المؤمن مكرمة عند الله عز وجل فلا يليق بها أن تُرمى. ففي الرمي من المهانة والبذاذة ما ليس في الإلقاء كما أسلفت قَالَ تَعَالَى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) وقال: (فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) وقال: (أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ) وقال: (سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) ولذلك جاء النهي للمؤمنين بالإلقاء بدلا من الرمي.

٢٧. أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ من دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ. (٢٤٣)

لا يخفى أن الفعل حين يعدى بحرف من حروف الجر تختلف دلالته باختلاف الحروف الداخلة عليه. فهذا الفعل خرج عند تعديته "بمن" دل على ابتداء الخروج كما في قوله تعالى (ألم

[١٣] محمد نديم فاضل، *التضمين النحوي في القرآن الكريم*، (المدينة المنورة: دار الزمان، ١٤٢٦هـ)،ط.١، ج.٢.، ص.٢٠٥.

تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. البقرة:٢٤٣)، تدل"من" في هذا السياق القرآ على أن أولئك القوم قد ابتدأ خروجهم من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم لا من قلتهم، فقد كانوا "ألوفا"، أي كثيرين، وإنما الحذر الذي ولده الجبن في أنفس الجبناء فيريهم أن الفرار من القتال هو الواقي من الموت.

ولو قيل "خرجوا وهم ألوف حذر الموت" لدل التعبير على أن خروجهم كان لملاقاة العدو مع حذرهم من الموت، لكن ما عليه النظم القرآ أبلغ وأدل على المراد، لأن تعدية الفعل بمنفى قوله تعالى (خرجوا من ديارهم) يبرز خورهم وشدة جبنهم، وأن خوفهم من العدو الذي يتسبب عنه موتهم ابتدأ وهم في ديارهم فكان السبب في فرارهم من ديارهم خوفا من ملاقاته، ولذا جيء بمن للدلالة على ابتداء خروجهم من ديارهم فرارا من العدو وخوفا من الموت.

ونظير هذه الآية قوله تعالى (فخرج منها خائفا يترقب. القصص:٢١) فتعدية الفعل بمن دل على بدء خروج موسى من المدينة خائفا، وأن الخوف كان ملازما له، مستقرا في نفسه، ولذا آثر البيان القرآ التعبير بالاسم "خائفا" للدلالة على ثبوت الخوف واستقراره في نفس موسى عليه السلام، وعبر بالفعل "يترقب" للدلالة على تجدد الترقب وحدوثه حالا فحالا.

٢٨. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ. (٢٤٧)

وحين عدي بحرف الاختصاص اللام قوله تعالى (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) دل أن المراد بالبعث خير المرسل إليهم ونفعهم وأن بعثه كان لهم ولأجلهم.

وحين أريد بالبعث الإبلاغ والإنهاء إلى المرسل إليهم جاءت متعد بمن كما فى قوله (ثُمَّ بعَثْنَا مِنْ بعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا.)[١٤]

وحين عدى بحرف الظرفية "فى" كقوله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...الجمعة:٢) دل حرف الظرفية على أن المبعوث واحد من أوساطهم معروف لهم وليس مجهولا لهم نائيا عنهم وفي ذلك من النعي على عقول من

[١٤] يونس: ٧٥.

كفروا به والتسجيل عليهم والتأكيد على جحدهم للحق مع بصد ظهور أدلته لهم ويقينهم بصدق من أرسل إليهم لأنه يعيش بينهم ويتقلب فيهم. كل هذه المعا المتباينة للفعل بعث إنما كانت له بسبب تنوع حروف الجر المتنوعة الداخلة عليه.

المراجع العربية

ابن الأثير. *النهاية في غريب الحديث والأثر*. ١٣٩٩هـ. بيروت: المنتبة العلمية.

ابن جنى الموصلى. *الخصائص*. ١٩١٣م. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن عقيل. *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*. ١٤٢٠ هـ. القاهرة: دار التراث.

ابن قتيبة الدينوري. *تأويل مشكل القرآن*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قيِّم الجَوْزِيَّة. *بدائع الفوائد*. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن يعيش. *شرح المفصل للزمخشرى*. ١٤٢٢هـ. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو الحسن علي. *المخصص*. ١٤١٧ هـ. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابو حيان. *البحر المحيط فى التفسير*. ١٤٢٠هـ. بيروت: دار الفكر.

أبو سليمان. *كتابة البحث العلمي صياغة جديدة*. ١٩٩٦م. مكة المكرمة: دار الشروق للنشر والتوزيع.

الرازى. مفاتيح الغيب. ١٤٢٠هـ. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

رجاء وحيد دويدري. *البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية*. سورية: دار الفكر.

السيوطى. *الأشباه والنظائر فى النحو*. ١٤٠٧هـ. بيروت: مؤسسة الرسالة

شهاب الدين الالوسى. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. ١٤١٥هـ. بيروت: دار الكتب العلمية.

عباس حسن. *النحو الوافي*. القاهرة: دار المعارف.

عبد الرحمن الزجاجى. *حروف المعاني والصفات*. ١٩٨٤. بيروت: مؤسسة الرسالة.

عبد الرحمن الميدان. *البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها*. ١٤١٦هـ. دمشق:دار القلم.

محب الدين. *اللباب فى علل البناء والأعراب*. ١٤١٦هـ. دمشق: دار الفكر.

محمد الطاهر التونسي. *التحرير والتنوير*. ١٩٨٤ هـ. تونس: الدار التونسية للنشر.

محمد نديم فاضل. *التضمين النحوي في القرآن الكريم*. ١٤٢٦هـ المدينة المنورة: دار الزمان.

المرادي. *الجنى الداني في حروف المعاني*. ١٤١٣هـ بيروت: دار الكتب العلمية.

مصطفى الغلايني. *جامع الدروس العربية*. ٢٠٠٩م. القاهرة: دار ابن الجوزى.

مصطفى بن محمد سليم الغلاييني. *جامع الدروس العربية*. ١٩٩٣م. بيروت: المكتبة العصرية.

المراجع الأجنبية

Moleong, Lexy. 2008. *Metodologi Penelitian Kualitatif.* Edisi revisi. Bandung: PT. Remaja Rosdakarya.

Sugiono. 2007. *Metode Penelitian Kualitatif dan R&D.* Bandung: Alfabeta.